حسن مخزومي

صدقي مويز



دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع

حسن مخزومي



دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع
بيروت - لبنان

مـــقدمة

●

هـذه فصول قيمة موجزة كتبها صديقي حسن المخزومي عن الصهيونية منذ نشأتها حتى اليوم ، على لسان « صديقه اليهودي موبيز » ، باسلوب قصصي ممتع يمتاز بوضوحه وسهولته كما يمتاز برصانته العلمية ونقده الساخر.. اللاذع.. ضمنه خلاصة وافية عن الصهيونية واحلامها ومزاعمها ، مستنداً الى الوثائق والمراجع التـاريخية ، ومفنداً هذه المزاعم – على لسان اليهودي دائمـاً – بانصاف واتزان يبرز فيهما للقارىء ، حسن المخزومي العالم الرياضي والمهندس المدقق ، لا يسرف ولا يغاو ، ولا تتغلب فيه العاطفة على العقل !

بقي علي بعد أن عرفت القارىء بالكتاب ومؤلفه ، ان اتحدث عن امرين اثنين :

الاول هذه الصداقة التي تشد المؤلف بموبيز ، والثاني صدور

الكتاب في الزمن الذي تجتاز فيه القضية الفلسطينية مرحلتها الحاسمة امام هيئة الامم المتحدة ، وتجتاز مرحلتها الاولى من مراحل تحرير الاراضي المقدسة ... فنحن ما نزال في البداية .. والصراع دموي وطويل .. هو الصراع بين الحق والباطل ، وقد أثبت الحق خلال العصور انه الفائز في النهاية !

هذه الصداقة التي تربط بين المؤلف وموبيز هي نفسها تربطني بالمؤلف ، وهي رمز للخلق العربي العريق السمح الكريم ، فالعرب إذ يصادقون ، لا يميزون بين الاجناس والأديان – هذه فطرتهم – وهم اوفياء لصداقاتهم وقد كانوا وما يزالون ضحايا هذه الصداقات ... ولكن الحربين الاخيرتين كشفتا الغشاوة عن أعين العرب ، وأفهمتاهم ان « شريعة الغاب » ما تزال شريعة القرن العشرين ، كما ان الاعتداءات البربرية على العرب الآمنين الوادعين العزل في دير ياسين وحيفا ويافا وعكا ادخلت الى قلوبهم شعوراً غريباً لا عهد لهم به من قبل ، ولكنهم ارغموا عليه ارغاماً ، فزالت تلك الصداقات الانسانية الخالصة البريئة ، وحل محلها شعور الحقد والكراهية والثأر للدم المهدور والعرض المنتهك ...

واما كتاب « صديقي موبيز » فقد صدر متأخراً عن موعده ربع قرن على الاقل .. ولو انه صدر في موعده الصحيح لتغير وجه التاريخ ... ولو ان كل عربي عرف مرامي الصهيونية واغراضها

منذ ربع قرن لمـــا أخذ العرب عـلى حين غرة .. ولمـا ظهروا بذلك المظهر الارتجالي في ميادين السياسة والقتال...

ولكن الزمن لم يفت .. والزمن في صالح العرب ، إذا هم تفهموا اقوال « موبيز » صديق صديقي المخزومي – سابقاً – وشرعوا في مكافحة الصهيونية باساليب جديدة ولآجال بعيدة ... حتى اذا حان الزمن المناسب ، انزلوا بالصهيونية الضربة القاضية ، وعاد «موبيز» صديق صديقي المخزومي تائهـاً في الارض ، يستأنف رسالة فطر عليهـــا واتقنها .

هي الرسالة المعروفة التي يكشف عنها « موبيز » في صفحات هـــذا الكتاب !

عبد الله مشنوق

اللقــاء

●

– موييز ... موييز ...

– هو هو ! هذا أنت ياشيخ العرب ؟ . كيف الحال ؟

– الحمد لله يابني اسرائيل ... ما علمت انك في بيروت ...

– لم يمض على وصولي اكثر من يومين . وقد جئت من أجل ابني لالحقه بالجامعة الاميركية .. اسمع ،انك لا تزال غض الشباب فكأن الشيخوخة تعجز عن ادراكك ...

ولم أستطع أن ارد التحية بمثلها ،فقد ترك الزمان على وجه صديقي وفي رأسه ، من آياته وآثاره ما لم يكن إلى انكاره من سبيل . وكنت قدالتقيت به لاول مرة قبل الحرب العالمية الاولى بسنوات، في سويسرا حيث كان طالباً للحقوق ... وحالت بيني وبينه الظروف منذ ذلك الحين ، بيد أن الصدفة لم تكن تبخل علينا بلقاء كل خمسة أعوام او ستة ، لقاء طالما رحبت به وانشرحت له .

وكان بيننا من ذكريات الشباب والدراسة ما هو كفيل ، إن

لم يكن بسد الشقة التى تباعد اليـــوم بينى وبينه ، فعلى الاقل ، كفيل باخفاء هذه الشقة عن عيوننا الى حين ، والسماح لنا بان لا يرى أحدنا في الآخر إلا كائناً مشوقاً ظامئاً الى الحق والعدل ..

وكنت احب فيه روحه اللاذعة وجنوحه الى الانتقاد العنيف على اسلوب لا انكر انه كان يخيفني بعض الشيء . وكان هويعرف ذلك ، حتى ليخيل الى سامعه انه يجد لذة خاصة في المبالغة والغلو في الصراحة الى حد الاباحة . ولا شك عندي في أن مجونه الكلامي لم يكن دليل استهتار بالقيم والاخلاق .

وقد تحققت على مر الايام ان صديقي موبيز رجل شريف ، رغم لسانه الساخر السليط ... فقد كان كالمرآة المحدبة لا تعكس الاشياء إلا وقد خلعت عليها بعض تعاريجها ... ولكن الشيء البادي في المرآة يبقى حقيقة واقعة رغم انحراف شكله ، كما يبقى الرسم الكاريكاتوري صورة صادقة عن صاحبه .

كان موبيز من حيث القيـافة مهمل الهندام ، قليل الترتيب ، له عينان قويتا التعبير حين يفتحهما ، ولكنه غالبا ما كان يخفضهما الى الارض ... وكان عادة قليل الكلام ، ولكنه ما يكاد يتناول موضوعاً يهمه او يلذ له حتى يتدفق متحدثا ساعات وساعات . وإذا اتفق لك مرة ان قاطعته بسؤال ، فهـو ينقطع عن الكلام دفعة واحدة ، حتى لتحسب أنه عائد من مكان بعيـد وهو ينظر اليك

مبهوتا مشدوها ، فان راقه سؤالك اجاب ، وإلا عاد يتابع حديثه بعد صمته القصير ، يتابعه على مهل اولا ، ثم يندفع كخطيب لا يلوي على شيء .

وقد سبق لنا أيام كنا طالبين ، ان تناولنا مواضيع عديدة وعالجنا قضايا كثيرة .. سقيا لذلك العهد الذي لم تكن فيه فلسطين حجر عثرة بين النبي الاسرائيلي العتيق ، كما كنت اناديه ، وبين شيخ العرب كما كان يناديني . والواقع ان مناقشتنا الاولى في القضية الفلسطينية لا ترجع الى ابعد من عام ١٩٢٤ ، سنة تلاقينا في الارض المقدسة . ترى ايحق لي ان ادعو احاديثنا مناقشات ؟ اقول صريحاً اني لا اعتقد ذلك .

وقد رأيته بعد ذلك اللقاء مرتين او ثلاثة ، انما لآجال قصيرة جداً ، فلم يتح لنا الامعان في الحديث .

أما اليوم ، فانا قابض عليه ولن أدعه يفلت . . انني باق بضعة أسابيع في بيروت قبل السفر الى سوريا ، وافترض ان مويبز لن يغادر العاصمة اللبنانية سريعاً ، فلا بد لي من الاجتماع به عدة مرات وطويل ساعات .

واعترف باني كنت مشوقا الى سماعه يتحدث عن كل ما جرى خلال فرقتنا الاخيرة التي كانت عام ١٩٣٦ ، عن هذه الحرب العالمية الفظيعة الثانية ، عن الحالة السياسية العامة ، وعن القضية الفلسطينية

على الاخص .

وكنت أعرف ان موبيز ليس بقادر على ان يكون رجلا متعصباً ضيق الصدر . وكنت واثقا من صدقه واخلاصه وشدة احترامه لنفسه ، فلن يخادعها او يخدعها وقد يقع في الخطأ وينخدع ولكنه لن يغالط ويخدع . وقلت له :

– آمل أن تطول اقامتك بضعة ايام في بيروت .

– نعم أود ذلك فانا في حاجة الى قسط من الراحة هنا حيث لا يعرفني أحد ، فلا قبعة أرفعها لغيري او ترفع لي في الطريق ، ولا شالوم عالوخيم ولا من يحزنون .

– عال اذن تعال نتغدي معاً .

– والى أين تأخذني ؟

– الى مطاعم الروشه حيث نجد أطيب السمك .

ذكريات الحرب

استعراض ودرس

●

اخذ موبيز يرتشف كأسه ويلتهم المازة والفستق كطفل شره.. وكان لا ينبس بحرف ، ويلوح عليه انه يمتع ناظريه بالمشهد البديع المنبسط امامنا ، البحر المشعشع والشاطىء الممتد حتى الافق ... مئات القرى الساحلية . . والتلال الخضراء المبعثرة فوق منتهى السلسلة اللبنانية .

ولم استطع معه صبراً على هذا الصمت الطويل فخرقته قائلا :

— ماذا فعلت في الحرب ياموبيز ؟

وكأني به لم يستمع إلي ، بل راح يأكل ما أمامه من البندق ، ثم سمعته فجأة يقول :

— غريب ! لقد طرحت علي السؤال نفسه منذ ربع قرن ،على أثر الحرب الكونية الاولى .

وتابع كأنما يناجي نفسه :

– ربع قرن .. ما اطوله وما اقصره في آن واحد . ان خمسا وعشرين سنة لتكاد تمثل بالنسبة الينا كل حيـاتنا ، أما بالنسبة الى العالم .. فأقل من لا شيء . ومع هذا ، فكم كانت هذه السنوات القليلة حافلة بالاحداث لمن يتأملها عن كثب ..

لو تأملنا الحرب الاولى بكل ما سببته من بؤس وآلام ، من عهود واكاذيب ، تنتهي الى هاوية سحيقة ثانية لا تقل عن الاولى فظاعة وبشاعة ، ان الانسان لم يقم الدليل على جنونه في يوم من الايام كما فعل خلال ربع هذا القرن . . ان بنـود ولسن الاربعة عشر –وهي مسخ محزن للوصاية العشر – لم تؤد الا الى زيادة الظلم والاستبداد ، وطغيان القوي على الضعيف .

وتصريح بلفور الذي وهب اليهود بلداً لا يملكه ، وسمح فيما بعد لهتلر بتقتيلهم . كل هذا يا شيخ العرب من ابأس المهـــازل . انكم معشر العرب تعتقدون انكم الضحية في هذه المسرحية ؟ نعم انكم ضحية ولا شك ، ولكنكم لستم الضحية الوحيدة ، فاليهود هم أيضاً ضحية مثلكم .

واذكر من جهة ثانية ياصديقي الحرب العالمية الاولى ومارافقها من احداث واهوال .. ترى من يكون الكاتب الذي سيضع ذات يوم للمسرح المأساة العربية – اليهودية ؟ انظر الى هذا الازدواج ،

ففي احد جوانب المسرح ماكماهون يساعده لورانس على الايقاع بالشريف حسين المسكين ، وفي الجانب الآخر لويد جورج وزملاؤه يعاونهم بلفور وشركاه على الايقاع باسرائيل الذي يخال نفسه سيد المختالين ، وكان مغفلاً في هذه المرة وواقعاً في الشرك .

الحق اقول لك يا شيخ العرب ، اني لا افهم موقف العرب ولا موقف اليهود خلال الحرب الماضية : كانت هناك امبراطورية عثمانية يرأسها الخليفة ، وهو الرئيس الاعلى لسائر المسلمين سواء أكانوا تركا ام عربا أم من الصين . . وشاء الشريف حسين ان يثور على الاتراك ويشن الحرب على الخليفة .. لماذا ؟

بالطبع ، انت تريد ان تبسط لي أسباب ذلك ، ولقد كانت للشريف حسين أسبابه دون شك . ولكن تعال ندرس هذه الاسباب في تجرد ونزاهة :

كان يريد ان يضمن للعرب حياة قومية كريمة لا غبن فيها وان يخلصهم من نير البرابرة الاتراك ... الخ .. الخ ..

ساكون سخياً واقتنع بصحة هذه التوكيدات . ولكن ما هي الضمانات التي حصل عليها الشريف حسين قبل ان يقدم على عمله الخطير ذاك ؟.أرجو أن لا يقع الذنب كله على الخادع الانكليزي فالخداع موجود في كل زمان ومكان .

انت تعرف يا شيخ العرب ان الاستقلال الذي وعد به بنو

قومك قد احيط بهالة من التحفظات والقيود كادت تجعله كصبيرة طمسن او قبض الريح . والافضل ان نستعرض المعاهدات :هناك الساحل السوري وقد اعتبر منطقة نفوذ فرنسي ، والى جانبـه « العقدة » الفلسطينية .

وقد قبل الشريف حسين ضمنـا بالنفوذ الفرنسي على الساحل السوري . وهنا يخال المرء نفسه في حلم .. وليس هذا كل شيء . فالعراق اعتبر ايضاً منطقة نفوذ بريطاني ، انما بـدون تعقيـد في هذه المرة .

وبديهي انهم استثنوا من هذا الاستقلال الاراضي الواقعة تحت الحمـاية البريطانية في الخليج الفارسي ، ومعهـا المحميات السبع ، واذن ، فماذا تبقى من الاستقلال العربي ؟ .. لقد ظل لـكم ان تستمتعوا بالصحراء العربية من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ... ومن تضيق به هـذه الرقعة ولا تـكفيه ، فامامه جزيرة قبرص ، فيها متسع لكل الساخطين الناقمين .

ولم تؤخذ هذه النتيجة بثمن بخس. فكم من مباحثات ومفاوضات ومساومات كان يخيل لكل مفاوض فيها انه بسمارك جديد ، وانه أحرز على حساب زملائه ما يسمونه نصرا دبلوماسياً كاملا ...ولم يدر بخلد احدهم اية عواقب وخيمة سيؤدي اليها ذلك النصر ، وفي اجل قريب .

كانت روسيا القيصرية كروسيا ستالين مفتونة بسحر الدردنيل لا تحلم ولا تفكر الا به .

وكانت فرنسا وفقاً للسياسية التقليدية لاتنفك تصيح : سوريا، وسوريا .. وكانت انكلترا ، وهي رئيسة الجوقة لهـذه المعزوفة المليئة بالنشاز ، تحاول ان ترضي الطرفين في آن واحد .

وبدأت المساومة ، فقيصر روسيا يصارح سفير فرنسا في بطرس بورج ان بلاده الارثوذكسية لاتستطيع القبول بفرنسا الكاثوليكية حامية لفلسطين . فرنسا الكاثوليكية ! تلك سخرية اخـرى من سخريات السياسة الدولية ..

وفيما كان قيصر الروس ووزراؤه يجترون احلام بطرس الاكبر كانت فرنسا وانكلترا اكثر واقعية فاوفدتا المسيو جورج بيكو والسير مارك سايكس .

وكان اول ما قرره هذان السيدان ، تشكيل جبهة متحدة في وجه الدب الرومي ، حليفهما ... ومن ثم اقتسام الاقطار العربية فيما بينهما ، ولو كلف الامر اعطاء وعود عرقوبية لهـا بالاستقلال ، استقلال تقريبي ، في مستقبل تقريبي ، وبقيود . . تبدو حينـاً وتتوارى اكثر الاحيان .

ان معاهدة سايكس — بيكو يا صاح لآية من آيات النذالة ، ونموذج صارخ للمدرسة السياسية في ذلك العهد ، المعروفة بمدرسة

السياسة العليا. في تلك المعاهدة اتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الوقوف حجر عثرة في وجه المطامع التوسعية التي كانت تكنها حليفتها الروسية واعطاء سوريا ولبنان لفرنسا ، وجعل العراق منطقة نفوذ بريطاني ... و .. و .. اما فلسطين فارجىء البت في مصيرها الى ما بعد التفاهم مع روسيا !!.

وهكذا قسمت سوريا والعراق الى منطقتي نفوذ ، فرنسا في الغرب ولانكلترا نصيب الاسد ، «النفط» .. في الشرق

وفي تلك الاثناء كان ماكماهون والشريف حسين يحرران المذكرات تلو المذكرات ، ويقدمان بكل امانة وصفاء وجدان ، المقترحات في أثر المقترحات. وكان الدم يهرق في الميادين مدراراً.

ووصلت معاهدة سايكس – بيكو الى الاتراك فلم يعدموا وسيلة في ابلاغها للشريف حسين .. وكانت ضجة كبرى لم ينجح في خنقها حتى دوي الالغام المتفجرة تحت القطر الحاملة جنود الخليفة الى المدينة المنورة .

ولكن «لصاً» رابعاً صعد المسرح على حين غرة ، ونعني ايطاليا وقد قام ابطالها الذين خلدوا انفسهم في كابورتو كما خلد ليونيداس نفسه على الترموبيلس ، يطالبون مغضبين بحصتهم من الغنيمة .

وعندئذ ، اثبتت انكلترا وفرنسا كرمهما على حساب الغير مرة جديدة ، فاقتطعتا لايطاليا جزءاً من جلد الدب الذي لا يزال

حياً ، ونعني تركيا .

وقد كتب المؤرخ الانكليزي هـ . و. تامبرلي في لهجة الجد :
« كانت ثقة العرب في بريطانيـا العظمى من القوة بحيث لم يفلح افشاء بعض البنود من المعاهدات السرية في افساد العلاقات الحسنة القائمة بين الطرفين» . انه لمن الصعب يا شيخ العرب أن نحكم فيما اذا كانت قولة تامبرلي مديحاً او هجاء ..

وتوقف موبيز عن الكلام لحظة لينظر الى السمكات الطيبات التي جاء بها الخادم . وقصصت له قطعة علّي اشغله عن الحـديث ، رغم اشتياقي الى سماع التتمة ، بغية أن امكنه من الاكل في صفاء بال .

ــ قد اتعبتك يا صديقي ، يا شيخ العرب ؟

ــ ابداً يا موبيز . وندر ان امتعتني بقدر ما تيسر لك اليوم ان تفعل . ولكن كل يا صاح ، فامامنا مجـــال فسيح للكلام في السياسة .

ــ انني لا اتكلم في السياسية ، هذا تاريخ بل من صميم التاريخ يا اخا العرب .

واستطرد وهو يأكل ، قائلا :

ــ علينا الآن ان نذكر اميركا وولسن .. لقد كان الحق الى جانب ولسن كما كان الحق دائماً في جانب الانبياء والرسل ،ولكنه

لقي من معاصريه ايضاً ما كان يلقاه الانبياء عند معاصريهم من عنت وعدم فهم . لقد استطاع بصفته استاذاً للتاريخ ان يجابه الموقف العالمي من عل ، ويتناوله بنظرة اجمالية .

والواقع ان من عادة اساتذة التاريخ – كما يقول هاكسلي – ان لا يهتموا بالتفاصيل ، التي تبدو بعد انقضاء عدد من السنين عديمة الاهمية ، رغم ان المعاصرين اعتبروها على جانب عظيم من الاهمية.

واوثر قبل أن اصل الى الدور الذي لعبته الولايات المتحدة ، ان احدثك عن الحلقة الثانية في المأساة المزدوجة المشاهد .. اقصد حلقة بني اسرائيل .

ابراهيم والتوحيد

●

بنو اسرائيل .. يا لها من ملحمة رائعة يا شيخ العرب .. يا من تاريخ مدهش محزن تخللته الاساطير باسلوب ملؤه الجد والرصانة حتى جعلت منه تاريخاً مقدساً .

ومع ذلك ، فان الاقدار التي طوحت ببني اسرائيل كانت اعجب من تاريخه .. فمن بين مئات الموجات السامية التي جرفت العالم مهدمة احياناً ، بانية في اغلب الاحيان حضارات بديعة ، لم يتح لاحد مثلما اتيح لهذه الموجة الصغيرة البالغة الصغر ، من قلب العالم وزلزلته ...

ادرك ابراهيم ، ذلك الحبر العتيق ، الملأ الاعلى ، السكائن الاعظم ، الذي انتهت كل الشعوب بالوصول اليه عن طريق النخبة المختارة فيها . ولكن الفرق بين سائر الشعوب وبين ابراهيم في ذلك الزمان ، ان الشعوب لم ترض باله أحد فرد صمد ، وان ابراهيم رفض أن يكون لله في ملكه شريك . فهو لا شبيه له في قليل او

كثير ، انه المبدع الاوحد عز وتعالى ، ليس كمثله شيء في عظمته وجلاله.

وهكذا حال بين بني اسرائيل وبين تعدد الآلهة ، هذا التعدد الذي لم تنج منه أمة من الامم. فظل الاسرائيليون رغم انحرافات وقتية كان الانبياء يسارعون الى تقويمها ، ظلوا امناء لفكرة التوحيد. اي ان العقيدة التي كانت وقفا على الاصفياء في سائر الشعوب كانت مشاعاً شعبياً في بني اسرائيل .. ولعل هذه العقيدة هي التي كانت سنداً لهم في كل محنهم وخطوبهم .. وبالرغم من انحرافهم عنهـــا احياناً فانهم كانوا يستمدون منها فخرهم وشجاعتهم على كل حال .

وقد اخذ ابناء يعقوب الاثنا عشر مع بقية ورثة ابراهيم ، اخذوا على عاتقهم حفظ هذه الامانة وتسليمها الى من يأتي بعدهم كنزاً نفيساً لا يقدر بثمن .

وحاول الشعب الاسرائيلي حامل لواء التوحيد ، ان يستقر في اماكن عديدة .. وكانت ميزته نفسها عن سائر الشعوب وبالا عليه فقد منعته من الامتزاج بهم ودفعتهم بالتالي الى ابغاضه والنفرة منه. وكان ، وهو مقتنع بسمو قدره وتفوق عنصره ، يجد في الاعتداد والتعالي عزاء عن كل الاضطهادات المنصبة عليه ..

بقي ان نتساءل : ايكون ابراهيم قد استورد فكرة التوحيد من البادية ، أم انها هبطت عليه وحيا في ارض العراق ؟

ارجح ان الافتراض الثاني اقرب الى الصواب .

وكان ابراهيم الضحية الاولى للمعتقد التوحيدي الذي آمن به ، فاضطر إلى أن ينفي نفسه قاصدا الصحراء .. ولعل النواة التي القاها ابراهيم في ارض العراق اعطت نباتها ، حتى بعد رحيل الكاهن . وان صح ان زرادشت ليس ابراهيم ، لكن تعاليمه تنبع من المعين نفسه ،فالهه كآله ابراهيم ، واحد احد رحمان رحيم. على ان ما انقذ الجوهر في بني اسرائيل لم يتوفر لابناء فارس ، وانحلت عقيدة التوحيد شأنها عند بقية الشعوب ، الى الشرك وتعدد الالهة الى ما لا نهاية .

وامسك موييز عن الكلام ، فاحترمت صمته . وكان يلوح عليه تأثر شديد ، فقد كان من الواضح انه عرضة لتأمل مجهد عميق...

وما هي الا هنيهة حتى عاوده الهدوء فنظر الي ملياً ثم تابع :

– ابناء عم هم العرب واليهود،ومع ذلك فكم بينهم من فروق. يجب الاقرار بان العربي كان على وجه العموم براً بابن عمه اليهودي . وليس من مؤرخ واحد استطاع ان يتهم العرب باضطهاد منظم لليهود .. وكان تعاون القومين وثيقاً جميلا لا سيما في الاندلس ، حيث ازدهرت حضارة ممتازة . لكن اي فرق نجده بين مصائر الشعبين ؟ ان الفرق عظيم يا صاحبي . وليس في علمي ان دراسة جدية قامت لاكتشاف اسبابه .

وسكت من جديد ليغزو الفاكهة المقدمة .. ولم يلبث ان

قال لي :

ـ يجب ان نذهب يا شيخ العرب .

والحق أقول اني أسفت لهذا التوقف ، فقـد بدأ الحديث يحلو ويطيب . وكنت آمل أن يتابع موبيز فيجلو لي بفكره النير لغز اسرائيل وكنت اعرف طباعه جيداً فلا فائدة من الالحـــاح ، ومنيت النفس بلقائه مرة ثانية واستدراجه الى استئناف الحديث بما يحقق مشتهاي .

وتركته في الفندق بعد ان تواعدنا على اللقاء ظهر اليوم التالي.

ـ ذهب الخواجه موبيز صباح اليوم .

* * *

ـ لا يمكن . انا معه على موعد .

ـ حضرتك السيد ا . م ؟ ترك لك رسالة .

وناولني عامل الفندق الرسالة فوجدت فيها الكلمة التالية :

« عزيزي شيخ العرب .

« اعتذر اليك عن الافلات منك . فعليّ أن أعود إلى حيفـا لمسألة مستعجلة وأكون سعيداً لو أراك فيها ذات يوم »

لا اعرف ما الذي ظن مستخدم الفندق بي .. فقـد جمدت في مكاني لا ادري سبباً لسفر موبيز المفاجىء . أتراه شاء ان يضع حداً لحديث امس ، أم تراه استدعي حقاً بالتلفون إلى حيفا الامر مستعجل؟...

أميل إلى ترجيح الافتراض الثاني .. ولولا ذلك لما دعاني إلى زيارته هناك . واعتزمت ان البي دعوته فاذهب إلى حيفا في اول فرصة .

***

– أتريد رؤية الخواجه موبيز ؟

وادخلت صالون البيت ، حيث ما لبثت ان رأيت وجه موبيز الباسم ، ويده تمتد مصافحة :

- أكاد لا أصدق عيني . أتأتي انت الى هدارا كرمل ؟.. هذا حدث عظيم ! .. ألا تخشى الدخول على يهودي ، انت شيخ العرب ؟ ...

– ليس الخوف مزيتي ، حتى وانا بعد صغير جداً ، ما كنت لاصدق بالبراميل المملوءة مسامير ، يهول بها لتخويف الاطفال الاشقياء . ولكن اطرح المزاح جانباً ، وافهم ما تعني ، فلعلي أجزع لسمعتي كعربي وطني . انت تعرف جيداً يا موبيز اني لست ضد احد ، واني على العكس في جانب كثير من الاشياء . فانا مثلًا في جانب العدل، ولذلك كنت بطبيعة الحال في جانب العرب في المسألة الفلسطينية .

– حسناً أقعد الآن يا شيخ العرب . ودعني من مشاعرك وتقديراتك . احسنت صنعاً بالمجيء . انني ضجر في هذه الايام،

وقد وصلت في حينك ..

– عساي اخفف عنك الضجر ...

– بلا كلام فارغ .

وكنت أرى من خلال باب الشرفة منظراً جميلاً للمرفأ ولمدينة حيفا القديمة .. البحر الانور ... وإلى اليمين عكا باسوارها التي تغتسل بالموج .. ذكريات لماضٍ لا يزيد عمره على المائة عام ..

– اظنك تستمتع بالمنظر .. معك حق يا شيخ العرب .. ان الطبيعة جميلة لولا اشرف المخلوقات ... الانسان . وعلى كل حال ، فلا بد ان فلسطين كانت فيما مضى أجمل منها اليوم حتى استهوت ابراهيم وحببت اليه الاقامة فيها .

وسره اني اصغي اليه باهتمام فابتسم وتابع :

– وكأني بك اتيت خصيصاً لتسمعني أهرف بما يخطر ، وبما لا يخطر لك .

– لا يا موييز ، وانما أتيت لاسمع قصة بني اسرائيـــل من فم اسرائيلي . لقد بدأت في بيروت ولاح لي ان الموضوع ممتع مشبع .

– اي ان عليّ أن ادفع ثمن زيارتك كما ادفع للطبيب ، مع فرق واحد هو ان عملة الثرثرة تقبل في مصرفك .. هكذا كانت الضيافة في العهود الغابرة . ولكن اود منك ان تمهلني الى حين آخر ، فانا اخشى ان افـــرغت بضاعتي ، ان تكتفي بها وتغادرنا سريعـــاً

الى بيروت .

وضحكنا كثيراً لهذه الخاطرة، ولربما كان في ضحكي انا بعض الرياء.

***

اخذني موبيز في سيارته الى جبل الكرمل ، هذا الجبل الذي طالما احببته ، ووددت لو اسكن فيه . ولم افاتح موبيز بهـذا الشعور خشية ان يأخذ المسألة على مأخذ الجد .

ودخلنا احد المقاهي حيث تناولنا شيئاً من المرطبات وتجاذبنا اطراف حديث متنوع دار بالاخص حول ذكرياتنا من عهد الدراسة.

– أتذكر يا شيخ العرب ما حل بصاحبة البنسيون عند رأت على مغلف رسالة احد الطلاب البلغاريين غلطة املاء في العنوان ، وكيف انها كادت تنفجر من شدة الغيظ ؟

***

ودخلنا بعد العشاء غرفة المكتبة حيث رحبت بنا مقاعـد من الجلد وثيرة . ولكني لم البِ دعوتها ، ورحت استعرض الكتب .

كانت مكتبة عامرة ، خصص قسم غير يسير منها للقانون ، ولكن شتى العلوم كانت ممثلة فيها تمثيلاً لائقاً . وكان موبيز يدخن سيكارة ويتفرس بي كلما أطلت النظر إلى كتاب .

لاحظت ان مؤلفات التاريخ تحتل بعد الحقوق اكبر عدد من الرفوف. والصحيح انها كانت مجموعة طيبة.. بالانكليزية والفرنسية

والالمانية ، وقد تلاقى فيها أ كابر المؤرخين يروون حكاية الشعوب قاطبة . – قلت لمويبز اعلن خاتمة المطاف .

– هنا حطنا الجمال .

فنهض مويبز متجهاً اليّ ، ولما صار على مقربة من خزانة الكتب التاريخية استهل بحثه كمدرس أمام اللوح الاسود :

أظن يا شيخ العرب ان تـين (المؤرخ الفرنسي في القرن التاسع عشر) هو الذي قال ان الشعوب تحظى بالحكومات الـتي تستحقها .. والاصح ان نقول فيما أعتقد ان كل شعب يمر بالاقدار التي يستحقها. وقد مر شعب اسرائيل ،حامل لواء التوحيد ، باقدار مجيدة ، أمجد أقدار حلم بها شعب عبر العصور .. ان ملياراً من البشر ينبع ايمانهم مـــن المعين الموسوي . أمـــا بنو اسرائيل انفسهم ، فالى اين آل مصيرهم ، الى اين ادت بهم خليقتهم الخاصة المميزة لهم من سائر الشعوب ؟ في دراسة تاريخهم سنهتدي الى ذلك.

و كيف ينبغي لنا ان ندرس تاريخهم لنفوز بتفسير عقلي للاقدار التي تقلبت عليهم ؟ هنا سر المسألة يا شيخ العرب . وفي هذا يخفق الناس عادة . فهم، أما ان يدرسوا تاريخ اليهود المقدس ، خالطين بين العقيدة والعرق ، بين الاسطورة والوحي السماوي ، واما انهم يضعون التوراة جانباً يحدوهم بغض متأصل قديم ، فيحكمون عليهم بلا رحمة ولا تسامح .

ما الذي نعرفه في الحقيقة عن الشعب اليهودي ؟.. هناك مصدران اثنان : التاريخ العلماني والتاريخ المقدس .

والمصدران متفقان مع الاسف ، على واقع محسوس ملموس وهو ان اليهودي كان مكروهاً ابداً ، مضطهداً دائماً ..

ولكن دعنا نتقدم على مهل .

أراد ابراهيم ، كرب عائلة يقدر تبعاته ، ان يجد لاولاده مكاناً يعرفون فيه الامن والطمأنينة . وكان طبيعياً ان يرى في فلسطين، وقد هبط اليها من الصحراء،ذلك المكان الطيب الامين.

كان ابراهيم جد اليهود ، وابو عقيدة التوحيد الخالص ، رجلاً مرغوباً في الانتساب اليه . وقد اعلن كثير من الاقوام انه جدهم، كالايدوميين ، والاموريين ، وبني اسماعيل . أما اليهود فيبدأون من يعقوب او اسرائيل الذي اعقب اثني عشر ولداً الفوا اسباط بني اسرائيل . مع اعترافهم بابراهيم جداً يشاركهم فيه غيرهم ، يعتبرون انفسهم متفوقين على ابناء عمهم لتحدرهم من يعقوب ..

والمعروف ان يعقوب نزل مصر مع بنيه الاثني عشر حيث احسنت وفادته في بادىء الامر وحالف التوفيق اولاده . لكن الاضطهاد ما لبث ان ذرّ قرنه – تلك ذكرى الآلام الاولى – وصارت الحياة عبئاً لا يطاق على اليهود . على انهم مع ذلك ظلوا يتناسلون ويتكاثرون،وانخرط في صفوفهم جمهور الناقمين الساخطين

من غير اليهود ، فصح عزمهم على الرحيل عن مصر بقيادة موسى ، وهو يهودي بالانتماء والاندماج .

اضاف موسى الى عقيدة ابراهيم التوحيدية قواعد خلقية تدعو الى الاعجاب . كانت شرعة الاخلاق عند عبدة الاوثان تنحصر في ارضاء الآلهة وتحاشي غضبهم . فجاء موسى بوصاياه العشر يؤسس شرعة الاخلاق الحقيقية ، اذ انه حدد معنى الشر بذاته ووجوب الابتعاد عن فعله .

ويبدو ان بني اسرائيل لم ينصاعوا بسهولة لهـــذه الشريعة الصارمة . ولم يكتفوا بمناوأة موسى ، بل شاكسوا كل الانبياء من بعده . انهم رغم ايمانهم التقليدي بوحدانية الله ، لم يتورعوا عن تقديم القرابين لارباب اسيا ، لعشتر وبعـل ومولوخ ، وعن عبادة العجل الذهبي ، ووضع اولادهم في افران مولوخ الهائل ، وتسليم نسائهم للبغاء المقدس على الروابي والتلال .

ولكن دعنا يا شيخ العرب ننظر الى دخول بني اسرائل ارض الميعاد: اعتقد موسى ذلك الزعيم العظيم الخبير بتسيير الجماعات البشرية ، ان الحياة في شبه جزيرة سيناء ستشحذ بشظفها وقسوتها همم اليهود ، وتقوي ابدانهم ، فتؤهلهم للنزال والقتال. ولكن الصحراء لم تفلح الا في اجاعتهم .. لا تصدق ما قيـل ويقال عن دخولهم فلسطين حرباً بعد التيه ، فالحقيقة انهم تسللوا اليها تسللاً بطيئـاً طويلاً ،

وبالسلم والمسالمة في اكثر الاحيان .

هناك شيء واحد لا مراء فيه، وقد أكده التاريخان ، الديني والدنيوي : وجد اليهود في فلسطين حضارة مادية تفوق ما كانوا عليه . وحاولوا ان يستوطنوا هذه الارض ، شأن البدوي الذي يسعى الى الاستقرار حيثما تيسر ، باللين او بالعنف ، بتسديد الضربات وتلقيها اذا اقتضى الامر . وما كان في وسع فلسطين المنقسمة على نفسها ، الموزعة بين الكنعانيين والجابوسيين (نسبة الى مدينتهم جابوس) والاشمونيين ، أن تبدي مقاومة ناجعة في وجه الدخلاء الجدد . زد على ذلك ان مثل هذه الهجرة كانت شائعة في تلك الايام ، حتى لم يخل منه بلد . ولم يكن عدد القادمين الجدد من الكثرة بحيث يخشى خطرهم . كانوا حينذاك وظلوا بعد ذلك أقلية في فلسطين .

لم تخضع فلسطين لسلطانهم إلا فترة قصيرة ، يعود الفضل فيه الى شخصية داود وابنه ووريثه سليمان . وما توفي سليمان حتى دب الخلاف والانقسام ، فانفصل الشمال عن الجنوب سائراً في طريق آخر ، الى أن جاء من دمر الشمال ولم يعف عن الجنوب .

ولنتساءل الآن : اي سهم كان لبني اسرائيل في تقدم البشريه المادي ؟ .. سهم قليل لا يكاد يذكر ، او قل لا شيء تقريباً .. فحتى في ابان ازدهارهم، ايام الملك سليمان، لم يقدروا على تحقيق شيء.

كان اليهود يستجدون البنائين من لدن الجيران ليشيدوا لهم هيكلهم وقصورهم . واذا استثنينا المزامير (الزبور) فلن نجد لهم في الفن واحدة . نعم لا شيء ، عدا الكتب المقدسة . بدو رحل صاروا من انصاف الحضر ، فاحتفظوا بجفاف البدو وخشونتهم ، وظلوا دائمي الحنين الى حياة البادية . اليس أجمل اعيادهم عيد الخيام الذي يذكرهم بتلك الحياة ؟ على أن أخطر ما في الامر ، ان الاسرائيلي ظل محتفظاً بسليقة العرق السيئة .

لا تحسبني مغالياً يا شيخ العرب ، ولا يلح لك اني يهودي مارق . كل ما في الامر اني احاول رؤية الاشياء بعين البصير المنصف ، لا تبهرني عن الحقيقة اثرة عرقية متطرفة .

تتبع تاريخ هذا الشعب تجد انه طالما ناكف وأزعج حتى اصدقاءه واصفياءه . ان ما نعلمه عما جرى في مصر قليل .. ولكننا نعرف ان الشعب الاسرائيلي نزح عنها فرحاً مغتبطاً لكثرة ما سيم فيها من عذاب . فلماذا ؟ أصحيح ان الذنب يقع على عاتق المصريين ؟ ان ما سيتلو من تاريخ بني اسرائيل كفيل بالاجابة على هذا السؤال المقلق ؟

ما ان انقضت ايام العز ، عهد داود وسليمان ، حتى عادت المصائب تنهال على بني اسرائيل . ولا أود أن اقول شيئاً عن هذه الحقبة المجيدة فقد علق بها من العقائد ما لا يجيز لاحد ان يمسها .

استطاع داود بعبقريته ونشاطه العجيبين ان يؤمن لابنه سليمان مرحـــلة ازدهار لم تشبه شائبة . ومن أفضال داود انه منّ على بني اسرائيل بمدينة ، وهم من لم يسبق لهم ان تمتعوا بمدينـــة لهم وحدهم ، ففرحوا بها واحاطوها بهالة من البهاء ، وكان من الطبيعي ان ينتقل هذا التعلق الخارق بالمدينة ، الى النصرانية ، ومنها الى الاسلام ، حتى اصبحت اورشليم قدساً في نظر الاديان الثلاثة .

بعد ان وصل تاريخنا الى هذه القمة يا شيخ العرب ، بدأ ينزلق منحدراً نحو هوة سحيقة سوداء دامية ، بدأ ينزلق في تدهور محزن ليغور في الهوة ويغيب ، كما يقول كوستاف لوبون .

احتفظت اورشليم في عهد الاسرة الداودية ، ببعض شأنهـــا وجاهها مدة من الزمن . على ان جوهر الطابع القومي عاش مدة أطول . وفيما كان علماء الشريعـــة اليهودية يصنعون الاساطير ، والانبياء يعملون على انقاذ البقية الباقية من الوحدة القومية، كانت الانقسامات والخلافات بين الاسباط اليهود تجهز على هـذا الشعب الذي لم يكتف بارتكاب جرائم القتل العديدة وانتهاك الاعراض باستمرار ، بل وصل به السقوط الى حد الاستعانة بالاجانب . وعلى هذه الصورة ، فقد بنو اسرائيل كل احترام لهم عند الجيران .. وقد سئم هؤلاء الجيران قيام هذا الوكر الدائم للفوضى والعصيان، فطالبوا باستئصاله .

وكان الشمال حيث مملكة السامريين ، اسوأ حالا من الجنوب. مما حدا بالاشوريين ، استجابة لنداءالجميع ، الى تدمير تلك المملكة نحو القرن الثامن قبل الميلاد ، اي انها سبقت اورشليم الى الخراب بقرن ونصف القرن .

لئن قضى ملك نينوى سرجون على السامرة ٧٢٢ ق.م. فعلى ملك بابل بوختنصر رست نحو القرن السادس ٥٨٦ قبل الميلاد المهمة البائسة ، مهمة تخريب القدس للمرة الاولى ، نعم للمرة الاولى لا الاخيرة .. كما سنرى .

اعرف ان القدس كانت اقل استحقاقاً من السامرة للمصير الذي آلت اليه . ولكني أجد نفسي مكرهاً على الملاحظة بانه لم يكن من عادة الاشوريين ولا البابليين ان يستأصلوا شافة الشعوب التي يغلبونها على امرها ، ويفنوها على بكرة أبيها . وافناؤهم لبني اسرائيل ، هو العمل الوحيد الذي خرجوا فيه على مألوفهم .

وبمحق اورشليم ، وسبي اهلها جميعاً ، كانت خاتمة المملكة اليهودية .

بدء تاريخ بني اسرائيل

●

وهنا ينتهي تاريخ ، ويبدأ تاريخ جـديد ، تاريخ بني اسرائيل الحقيقي الذي يبدأ بتشتت شملهم ، وتبعثرهم في الارض ، وتيههم في الآفاق . نعم يا شيخ العرب ، ان تاريخنا كما قال عدة مؤرخين يبتدىء من سقوط ملكنا .

ولما فتح ملك الفرس كورش الكبير سنة ٥٣٩ ق. م. مدينة بابل ، وسأل عن سبب وجود اليهود فيها واخبر بما كان من امر سبيهم ، اصدر امره بالافراج عنهم والسماح لهم بالعودة الى ديارهم ، وبنـاء مدينتهم وهيكلهم من جديد .

ولن يخلو من فائدة ومتعة ، لو عرفنا تفاصيل ما جرى في بابل حينذاك .. ولكن كل ما نعرفه ان فريقاً من اليهـود عادوا الى فلسطين ، وان من بقوا ساهموا في نفقات من عادوا . وهنا تبدو لنا نقطة حرية بالاهتمام ، وهي ان كثيرين من اليهود رفضوا العودة الى فلسطين رغم السند القوي الذي قدمـه لهم كورش العظيم ...

وان فلسطين تابعت حياتها المعتادة رغم اجلاء العبريين عنها ، مما يثبت لنا قلة عددهم بالنسبة الى سكان فلسطين عهد ذاك .

وبرجوع فريق من بني اسرائيل الى اورشليم ، تحققت نبـوءة دانيال . واقول لك على ذكر هذه النبوءة ان البعض يريد ان يفسرها على انها تستهدف العصر الحديث ، وهذا من السخف بمكان ، لان خراب اورشليم للمرة الاخيرة ، على ايدي الرومان وتشتيت اليهود مجدداً ، لم يعقبها مجيء أي نبي حتى يتنبأ لهم بالعودة واجتماع الشمل ...

ولكن دعنا لا نشرد عن الموضوع . فبمساعدة الفرس عـــاد العبريون الى فلسطين ولكنهم ما لبثوا ان ضايقوا المحسنين اليهم ، حتى ضاق بهم هؤلاء وراحوا يضطهدونهم بدورهم .

وعاش اليهود عيشة الضنك هـــذه حتى ايام الامبراطورية الرومانية . وبدلا من ان يجنوا ثمار السلم الروماني كغيرهم من الشعوب ، فانهم احرجوا حتى حـــلم روما ، واتعبوا صبرهـا الاسطوري العجيب . لم تكترث روما في بادىء الامر لهذا الشعب الذي يتكلم كثيراً ، ويحيا في فوضى مستديمة ، ولكن صبرها نفد في النهاية ، وصح عزمها على ابادته . وهنا ترتسم امام عيني اليهودي علامة استفهام مقلقة مؤلمة يا شيخ العرب ... فلماذا اقدمت روما وهي في ابان حولها وطولها ، على محق اورشليم ؟.. لا شك ان كل

مقارنة لهذا المحق بمحق قرطاجنة تبدو سخيفة . ففي تلك الحالة ، كانت المسألة مسألة حياة او موت لروما . أما اورشليم ، فلا شيء من ذلك . دعني اتساءل مرة ثانية يا شيخ العرب ، لماذا ؟

بعد سبعين سنة من ميلاد ذلك النبي العظيم من سلسلة انبياء اسرائيل (المسيح) استولى طيطوس الروماني على القدس ،وجعلها طعمة للنيران ، مشرداً اهلها من جديد .

ولكن كلمة الله التي بشر بها يسوع ، انتقلت الى حوارييه . وفيما كان ابناء يعقوب ينتشرون في الارض كالغبار تذروه الرياح كانت عقيدة ابراهيم الجليلة السامية تشق طريقها نحو اقدار مجيدة جديدة عظمى ..

سكت موبيز وأشعل سيكاراً وبعد ان اتخذ له مقعداً ، راح يتأمل دخان سيكاره كأنه يحلم ، واستطرد يقول :

ـ وابتداء من هذه الفترة ، لن تجد للشعب التائه تاريخاً كتب بتجرد كلي .

ضيع بنو اسرائيل الفرصة الوحيدة التي اتاحها لهم القديس بولس في الطمأنينة والامان . فقد ادرك هذا اليهودي العبقري الدرس الخلقي العظيم الذي بشر به المعلم الاكبر ، وفهم في الوقت نفسه ما يستطيع بنو اسرائيل ان يؤدوه من رسالة عظيمة مجيدة بنشرهم عقيدة ابراهيم وشرعة موسى الاخلاقية وتعاليم يسوع السامية

ونشرها بين سائر الشعوب ، لا وقفــها على « الشعب الخاص » وحصرها به من دون الناس جميعاً ..

ولم يكتف بنو اسرائيل برفض هذا الانطلاق الذي شرعه لهم عيسى ، وعمل على تحقيقه بولس ، من ان ورثــة ابراهيم هم ورثته الروحيون لا ابناؤه المتحدرون من نسله بالفعل ، بل كاد المحافظون المتعصبون منهم يقضون على اتباع بولس لولا تدخل الرومانيين .

وهكذا فوت اليهود هذه الفرصة الذهبية ، بدافع من خليقتهم الارثية وتعصبهم الضيق المغرور .

واخيراً ، وبعد ان تم الفراق نهائياً بين اليهودية والمسيحيــة اللتين عاشتا معاً عدة قرون ، عاد اليهودي ووجد نفسه من جديد في هامش المجتمع البشري . وبدلا من ان يعيش على وفاق مع هذا المجتمع ، ويقاسمه تراث ابراهيم ، راح يناهض مذهب «النصرانية» الذي ترعرع في حضنه وناصبه أشد العداء .

وعلى هذه الصورة استحكمت كراهية هائــلة بين الفريقين . فبنو اسرائيل في عنادهم وانانيتهم اللتين لا يعادلهما الا حبهم الخصام والنقار ، آثروا العزلة والانكماش مؤلين دين ابراهيم عليه السلام تأويلا ضيقــاً مسكيناً سخيفاً . فليس من المعقول يا شيخ العرب ان يخلق الله تعالى هذا العالم ليجعل منه عبداً لابناء يعقوب . وانما كان لفكرة ابراهيم التوحيدية التي حملها خلفاؤه ، ان تحول بين

البشرية وبين التردي في حمأة الوثنية . ذلك هو المجد الذي وعد به بنو اسرائيل بل احفاد ابراهيم . غير ان اليهود بتنكرهم للنصرانية عاشوا عيش المنبوذين في اكثر بلدان العالم واكرهوا النصارى على مقابلتهم بالاضطهاد والعذاب ، بدلا من ان يظهروا لهم عرفان الجميل بصفتهم مدينين لهم بينبوع ايمانهم .

قلنا ان اليهودي عاش منبوذاً مرذولا عصوراً بعد عصور . فلم يجرؤ على فلاحة الارض وزراعتها ، لانه كان يخشى الانفراد وكانت الوظائف العامة محرمة عليه . واما مسألة الانخراط في الجيش فلم تكن مطروحة على بساط البحث لحظة واحدة . فاضطر الى مزاولة التجارة يساعده على ذلك ميل طبيعي ، كما انه عمد الى التعامل بالربا رغم تحريمه في دينه .

كان اليهودي ممقوتاً ، معذباً اغلب الاحيان ، محتقراً مهاناً على الدوام ، ولكنه كان في كل حالاته يجني كثيراً من المال . ولما حدثت الثورة الفرنسية ، وارتفعت البورجوازية ، أي حل المال محل سائر القيم الاجتماعية والوراثية ، وجد اليهودي نفسه بالرغم منه على قمة المجتمع الانساني . فالعصور المتوالية التي جعلت منه الة جماعة للمال ، ضمنت له دفعة واحدة ازدهاراً فجائياً ومركزاً لم يكن ليحلم به .

وفي هذه المرة ايضاً كان في مقدور بني اسرائيل ان ينجوا

بانفسهم . افتراهم استغلوا هذه الفرصة الجديدة السانحة لهم ? بكل تأكيد ، لا .

ان اليهودي ، رغم صعوده اعلى درجات السلم الاجتماعي الجديد بفضل ما لديه من ثروة متراكمة وما له من كفاءة في زيادتهـــا ، لم يشأ ان يتزن ويعتدل . فبينما كان لا يطمح في الماضي الا في عيش رضي ، بمعزل عن الاضطهاد الذي رافقه على مر العصور ، اخذ وقد اشتد ساعده ، يطمع في فرض نفسه على الغـــير وفي استعباد العالم باسره .

وكان بديهياً ان لا يتأخر رد الفعل تحت تأثير هـــذا المطمع المغالى فيه . وكان رد الفعل هذه المرة ايضاً شديداً مهـولا فطرد اليهودي من كل البلدان تقريباً ، وتحاشى الناس صحبته ، وكالوا له من الاضطهاد نصيباً وافراً .

واتخذ الاضطهاد في اسبانيا على الاخص شكلاً خطيراً واسع النطاق . ولم يجد اليهودي المطرود من اسبانيا ملاذاً إلا في الاقطار الاسلامية . انت تعرف يا شيخ العرب ان اسرتي من اصل اسباني. (واستطرد كأنما يناجي نفسه) وكان والدي رحمـــه الله يخاطبنا باللغة الاسبانية .. اما اليوم فعلينا ان نتكلم العبرية .

وبعد سكوت قصير ، تراءى لي موييز خلاله وكأنما ينفض عنه الافكار التي تخامره ، استأنف حديثه قائلا :

تردد اليهود بين الاندماج والتكتل

•

– وبدلاً من ان يبحث الاسرائيلي في نفسه عن علة ما يلاقيه ويعانيه ، طفق يبرىء نفسه ويلقي التبعة على سواه . واعتقد نفر من اليهود ان مشكلة اضطهادهم لا تحـــل الا باحداث موطن او دولة يكونون فيها سادة في ديارهم . وبهذه الفكرة تبدأ مرحـــلة جديدة من تاريخ بني اسرائيل ..

ولنذكر قبل دراستهـــا ، ان حلين عرضا لليهودي وما زالا قائمـــين :

اولا – ان يختلط بسكان البلد الذي يحيا فيه ، فيصبح بذلك مواطناً شأن غيره من المواطنين ، وتختفي مع الوقت هذه العلامة الفارقة المحزنة التي تميزه منهم .

ثانياً – ان يبقى يهوديا ، يفترق عن الجميع ، وبالتالي ان يعيش عدواً لهم الى حين يتاح له ان ينشىء وطناً يعيش فيه كيهودي ، لا ينازعه في بيته احد .

ظل اليهودي على كر العصور ، حائراً بين هذين الاتجاهين .
حتى في أقدم الازمنة ، نجـــد يهوداً اعتبروا انفسهم مواطنين في البلدان التي نزلوها ، ولم ينظروا الى بقية اليهود في انحاء العالم إلا كجماعة تربطهم بهم صلة الدين . ولا ترجع الحركة السياسية المعروفة بالصهيونية ، الى ما قبل القرن التاسع عشر .

وللوهلة الاولى ، اصطدمت هذه الحركة بمعارضة فريق كبير من اليهود ، تحسسوا فيها الخطر على سائر اليهود المندمجين بابنـــاء البلاد التي يسكنونها .

ولكن دعنا نتقدم على مهل يا شيخ العرب .

من عهد بالغ في القدم أي منذ الفي سنة ،نرى فيلسوف الاسكندرية اليهودي فيلون ينتصر لفكرة اندماج الاسرائيليين بالشعوب التي يساكنون، فهو يقول:

« لم يعد اليهود بسبب عددهم ، قادرين على ان يعيشوا في بلد واحد . ثم انهم يعيشون الآن في اغنى البلدان من اوروبا وآسيا . فينبغي ان ينظر اليهودي الى اورشليم ، اليوم وغداً على انها مقرّ اصله الخلقي وانها مكان مقدس . بينما ان البلد الذي يسكنه هو يجب ان يكون ، وطنه الذي يعيش فيه كما عاش فيه من قبـــله ابوه وجده » .

وتحققت مخاوف فيلون وآسفاه .فأدت الاضطرابات في فلسطين

الى خراب اليهود في كثير من الاقطار حيث كانوا يحيون في بسطة واطمئنان . كما حدث في مصر وقبرص وليبيا .

كان كثيرون من اليهود ، بعد خراب اورشليم ، لا ينظرون الى فلسطين الا نظرتهم الى حلم بعيد مختاط المعالم . وكان بعضهم يصرون على اعتبار انفسهم اوصياء على عهد ابراهيم ، فاصطدموا من حيث مطالبهم الفلسطينية بالنصارى والمسلمين ممن يجدون لانفسهم حصة في ابراهيم لا تقل عن حصة بني اسرائيل . ولاننسى من جهة ثانية ان طائفة السامريين ، التي تسكن نابلس الى اليوم، وهم من اليهود،لم يشاءوا أن يعترفوا للقدس باية سلطة عليهم .

بعد عدة محاولات فاشلة ، وفي حوالي ١٣٥ بعد الميلاد ، انهار نهائياً النظام الذي ساعد سيروس الكبير على بعثه وانعاشه . وسددت طعنة الاجهاز في القرن الرابع كما قلت لك ، عندما اصبحت المسيحية دين الدولة ، واصر اليهودي المتزمت المتعصب على معتقده القديم . ولم تلاحظ بعد سنة ١٣٥ بعد الميلاد اية محاولة لليهود باستئناف العودة الى فلسطين . وهناك شيء عجيب آخر ، وهو انه لم يكن بين مئات الآلاف من الحجاج النصارى الى القدس الا عدد ضئيل من اليهود لا يكاد يذكر ، وقد لا يكون بينهم حاج واحد .

ولم يأت اليهود الى فلسطين الا بعد اضطهادهم في اسبانيا ،

وقد جاءوا اليها كمهاجرين لاجئين ، لا كحجاج . وهذا ما يوضح السبب في أن كثيرين من يهود السلطنة العثمانية كانوا يتكلمون الاسبانيـة .

وعلى أثر اضطهاد اليهود وطردهم من انكلترا عام ١٢٩٠ ،ومن فرنسا عام ١٣٠٦ ومن اسبانيا عام ١٤٩٢ ، فتح ملوك بولونيـا أبواب بلادهم لهم فوجدفيها كثيرون الملجأالامين. على أن اليهودي العنيد ظل يهوديا يتكلم مزيجاً من العبرية والجرمانية يطلق عليه اسم اليديش ويبتعد عن الامة البولونية ، بدلا من أن يمتزج بها .ولكنه من جهة ثانية لم يتعال عن استثمار موارد البلاد التي ما لبث أكثرها أن وقـع في يده . وكان لا بد للبغض من أن يطل برأسه في هذه الحال .

والخـلاصة أن اليهودي يفضل الاستفادة من حرية الفكر والتسامح عند الشعوب التي اضافته ، ويرفض ان يطبق ذلك على نفسه في تعامله مع الغير .

لم يكن الخروج من الغيتو (الحي اليهودي في كل بـــلد) ظاهرة تحرر وخلاص بل زحفاً جارفاً مخيفاً لا أثر للرحمة فيه . فما ان سكر اليهودي بخمرة الانتصار ، حتى أضاع توازنه ، واستحال دفعة واحدة من مضطهد أرهق وعذب طوال عدة قرون ، إلى ظالم جبار . وازداد ضياع رشده حيال ما احدثه موقفه الجديد من

رد فعـل ، فبات لا يعي شيئاً ولا يدرك شيئاً .. وتحسنت حال اليهود بعد القرن الثامن عشر ، تحسنت على وجـه العموم بصرف النظر عن بعض حوادث اضطهاد متفرقة . وكان سبب التحسن المباشر ، الارض الاميركية بما قدمتـه لسائر المضطهدين ، وبينهم اليهود طبعاً ، من آفاق واسعة . على ان النجاح الذي صادفه اليهودي ولم يحسن الاستفادة منه ، زاد التيارات المعادية للسامية في اوروبا مما دعاه الى البحث عن مكان آخر يلوذ به ويستقر فيه .

ولم تكن فكرة انشاء دولة يهودية صادرة عن الرغبة في ايواء اليهود المضطهدين فحسب ، بل كان يحركها دافع آخر هو الخوف من تكاثر اليهود المندمجين المنصهرين في الشعوب التي يساكنون ، وبالتالي انقراض اليهود كعرق قائم بذاته ، مـع مرور الزمن . أرأيت يا شيخ العرب الفكرة المزدوجة التي انبثقت عنها الحركة الصهيونية ، فاذكرها جيداً قبل أن نباشر دراستنا للحركة نفسها :

اولا – مأوى لليهود المضطهدين .

ثانياً – حركة سياسية لتحقيق الاماني الخيالية التي كان يحلم بها بعضهم من سيطرة بني اسرائيل على العالم كله .

في اواخر القرن التاسع عشر ، نجد الآثار الاولى لهذه الحركة ومما يثير الفضول ، بضعة اسطر ظهرت في الجريدة الوطنية الصادرة بتاريخ الثالث من بريريال (احد الاشهر المستحدثة خلال الثورة

الفرنسية) من العام السابع للثورة الافرنسية ، وفيها يدعو بونابرت يهود آسيا وافريقيا الى الانضواء تحت لوائه لاسترجاع اورشليم .

وتضيف الجريدة قائلة :

« ان الفرق اليهودية اصبحت تهدد حلب » وفي هذا ما يدل على ان محرر الجريدة الوطنية لم يكن ضيق الخيال ؟! ..

اما الواقعة التاريخية الجدية الاولى ، فنجدها في العام ١٨٤٠ ، عند يهودي من اصل ايطالي تجنس بالجنسية الانكليزية ومنحه ملك انكلترا لقب سير ، وهو موييز حاييم مونتفيوري.

ولد مونتفيوري في ايطاليا عام ١٧٨٤ وكان على جانب من الغنى والنفوذ يسر له اقناع انكلترا بان تكلف نفسها حماية اليهود في السلطنة العثمانية ، اي في البلاد الوحيدة التي لم تضطهد اليهود . بل استقبلت من لاجئيهم القادمين من اسبانيا وغيرها ، عدداً وافراً.

أسف مونتفيوري وتحسر لذهاب اليهود الى بلدان غنية كأميركا وكندا ، وود لو انهم يذهبون الى فلسطين ليعيدوا فيها تأسيس مملكة اسرائيل . ولكن انكلترا لم تستطع تحقيق اماني السير موييز ، واكتفت بان اغدقت عليه وعوداً معسولة ، لان سياستها في الشرق الادنى كانت قد تغيرت عما كانت عليه حين فاتحها السير موييز بمشروعه .

وفي عام ١٨٨٢ نجد في الاستانة جمعية صهيونية تحمل أسم (بيلو)

تتألف على الاخص من يهود روسيين وهاك مقطعاً من احد البيانات التي كانت تصدرها هذه الجمعية :

« يا اسرائيل ، ماذا صنعت منذ الفي سنة ، لقد نمت وحلمت بروئيا الاندماج الفارغة . ولكن القتل والتنكيل قد ايقظـــاك تمامـــاً والحمد لله ...

« ان مستقبلك في الغرب، لا أمل فيه ولا رجاء. هناك مستقبلك في الشرق ، حيث يلمع نجمك في قبة السماء ».

ارأيت يا شيخ العرب الى هؤلاء الروس ، كيف انهـــم في أعماق تفكيرهم ، حسبوا خطأ ما جرى لهم في روسيا مثالا لما كان يجري لاخوانهم في سائر البلدان ، فانكروا حسنات الاندماج ، وارادوا بعث ملك اليهود، ناسين ان فيلون حكم بالموت على هذه الفكرة منذ الفى سنة ، لاستحالة تنفيذها من الوجهة المادية . اعتقدت جمعية (بيــلو) وهي غارقة في اوهامها ، انها تستطيع اقناع السلطان بالتخلي عن فلسطين لبني اسرائيل ..

وقامت جمعية صهيونية ثانية ، تتألف ايضاً من اكثرية روسية وتدعى هيفاني صهيون ، فكانت اقوى نفوذاً واحفـــل بالاتباع والانصار . وحاولت بدورها اغراء السلطان ، انما دون جدوى ... ولكنه من جهة ثانية لم يجد مانعاً شأن اسلافه في قدوم لاجئين جدد من اليهود الى بلاده. وقد جاءوا فعلا ، وأسسوا لهم مستعمرات

زراعية . وانه لمما يسوء كل يهودي منصف اننا جازينا البـــلاد الاسلامية على تسامحها وضيافتها بافظع نكران الجميل . فهـــذه المستعمرات التي لم تعش إلا بالمعونة المالية التي صرفها لها البارون روتشيلد ، ليست نتيجة غزو وفتح ، وانما عربون تسامح طالما تجلى مراراً وتكراراً . على ان الجـــالية اليهودية من اصحاب تلك المستعمرات لم يكونوا ليذكروا هذه المنة دائماً على ما يظهر .

ويجب ان نلاحظ أن يهود البلدان المضطهدة لليهود اكثر من غيرها هم الذين كانوا يدفعون بعجلة الصهيونية الى الامام . كما نلاحظ ان الحركة الصهيونية الروسية نفسها كانت تتخللها تيارات المذهب الآخر ، مذهب الاندماج والامتزاج في الفترات التي يخف فيها اضطهاد اليهود في روسيا . وقد عاش في ايام اسكندر الثالث ، طبيب يهودي اسمه ليون بانسكر ، فدعا الى اندماج اليهود الروس بابناء البلاد ، وحثهم على المساهمة فى تطورها ورقيها في حقل الآداب والعلوم . ولكن الدكتور بانسكر غير رأيـه على أثر اغتيال اسكندر ، وما تلا ذلك الاغتيال من حملات على اليهود ونصح بوجوب انشاء الدولة اليهودية ، لكنه حذر ابناء دينه من الاتجاه شطر الارض المقدسة . وكان يقول ان المسألة معقدة في حد ذاتها بما فيه الكفـــاية ، ولا لزوم لزيادة تعقيدهـا بوضع فلسطين المعقد .

ولقد قاسينا من الويلات على هذه الارض المقدسة بما فيه الكفاية

ولنا فيها من الذكريات الاليمة ما يصرفنا عن التفكير في سكناها والتعرض لاخطار الطرد منها كما حدث في الماضي» .

بهذا الطراز من التفكير، وبمساعدة الماني يدعى البارون هيرش قام اليهود بمحاولة في الارجنتين تحت شعار «العودة الى الفلاحة والزراعة» . ولكن المعسكر الثاني ناهض هذه الحركة الحكيمة وحاربها بشدة .

وكان في طليعة المعارضين المناهضين طالب روسي يهودي في برلين اسمه شمارياهو ليفن ، وقد عاد الى روسيا خصيصاً لمحاربة البارون ومشروعه . وفي ذلك الزمان ايضاً كما في سائر الازمنة ، كانت الغلبة للمتطرفين الاشداء رغم قلتهم على الكثرة التي لا تبدي ولا تعيد .

وها نحن نصل الآن يا شيخ العرب ، عن طريق الالماني موييز هس ، الى نموذج صهيوني جديد .

كان هس شديد الاعجاب بالثورة الفرنسية ، وقد دعا لاتحاد فرنسي يهودي يهدف الى السيطرة على الشرق الادنى وطريق الهند اي ان تلك الفكرة كانت ترمي الى محاربة انكلترا بمعونة فرنسا وكان هس كيهودي عتيق ، أي كرجل يجمع بين صفتي الحالم والعملي ، قد رتب مشروعاً مدروساً من كل نواحيه . وفيه يوصي ببرنامج تدريجي ينفذ على مراحل ، بمساعدة فرنسا . ولكن قضية دريفوس الشهيرة اهابت بهس الى تغيير رأيه .

وهنا يطل علينا ابرز وجه من وجوه الصهيونية اعني به هرتزل ..

مولد فكرة الدولة اليهودية الخيالية

●

كان تيودور هرتزل صحفياً نمساوياً ومؤلفاً مسرحياً ، وقد اصدر عام ١٨٩٦ كراسا ملتهباً بعنوان « الدولة اليهودية » احدث ضجة كبيرة .

ولا يخلو من فائدة ومتعة درس التطور الروحي الفكري الذي مر به هرتزل . فقد ولد في بودابست وترعرع في النمسا ولم يعان من آلام الاضطهاد شيئاً ، بل لم يكن ممارساً إلا في القليل النادر لشعائر دينه ، وشاء في بداية الامر ان يقتنص الفرصة التي أفلتت من اليهود ايام القديس بولس ، وذلك بتوحيد المذهبين المسيحي واليهودي ، عن طريق تنصر اليهود طبعاً ووضع حد حاسم لمشكلتهم المؤلمة في المجتمع البشري .

إلا أن بعض اصدقائه حولوه عن فكرته مؤكدين له ان احداً من اليهود لن يتبعه .

حينئذ ، خطر لهرتزل ان يؤلف شركة يهودية للاستعمار وكانت

المشكلة تعرض له بالشكل الآتي :

اولا – العثور على بلد واسع كفيل باستيعاب عدد كبير من اليهود ، عدة ملايين منهم طبعاً .

ثانياً – تنظيم هجرة على نطاق واسع ، تفوق تكاثر اليهود الطبيعي في البلاد التي يقطنون ، اي ان يفوق عدد المهاجرين اليهود عدد مواليدهم الجدد .

تأمل يا شيخ العرب هذه النقطة الثانية فهي مهمة وجوهرية جداً . فبدونها يبقى المشروع عديم النفع ، كما حدث في هجرة اليهود الى اميركا ، إذ بقي عددهم في اوروبا كما كان رغم نزوح الآلاف منهم . وإذا كان الهدف من المشروع انقاذ اليهود من كل سيطرة غير يهودية ، فالهجرة الكثيفة شرط اساسي اوحد . وعلينا ونحن ندرس القضية الفلسطينية ، ان لا نغفل هذا الشرط .

وفي المشروع نقطة ثالثة كان يعتبرها هرتزل عظيمة الاهمية ، وهي ان تكون الارض المنشودة ملكاً خالصاً لليهود لا ينازعهم فيها منازع . وبكلام آخر ان يكون اليهودي المهاجر واثقاً كل الثقة من انه سيطأ ارضاً آمنة تستقبله علي الرحب والسعة .

وفي مثل هذه الظروف ، يجب الاعتقاد حتماً بان هرتزل لم يتجه بفكره نحو ارض الميعاد . فقد كان من اللازم ايجاد حل معقول عملي للمشكلة المطروحة على بساط البحث بالطريقة التي ذكرناها .

لئن رأى اليهودي انه لا يستطيع الاندماج بابنــاء الشعوب الاخرى ، لا يفرق بينه وبين سائر مواطنيه الا العقيدة الدينية ، فما عليه الا ان يعثر على مكان يتسنى له فيه ان يبني مستقبلا .
ولكن هرتزل اضطر مرة ثانية الى الانقياد بدل القيادة ، وادرك من احتكاكه بجمهرة المتعصبين اليهـود ان مشروعه لن يكتب له النجاح ، إلا اذا نشر فوقه راية صهيون .

وهكذا ، حل بهرتزل ما حل بكثير من الزعماء الذين يخالون انفسهم مبدعين لحركات جديدة ، فاذا هم ينجرفون في التيار الذي شاءوا تغيير مجراه ، وتوجيهه نحو افاق جديدة .

وهكذا ، وقع هو الآخر في شباك الوهم ، واعتقد بامكان ابتياع فلسطين من السلطان . وعذره انه كان جاهلا بروح الاقطار الاسلامية . وكان ان اخفق اخفاقا تاماً : حاول عن طريق اناس ، زعموا ان لهم الحظوة عند السلطان ، ان يقنع الباب العالي بالتخلي للصهيونيين عن فلسطين لقاء تبرع هؤلاء باقالة عثار الخزينة العثمانية .
ولكنه اعترف في مذكراته فيما بعد ، بأن السلطان لم يتردد في رد هذا العرض رداً قاطعاً . واليك عبارة من عبارات الرد الذي دفع به السلطان ، كما اوردها هرتزل :

«قل للدكتور بان يعـدل عن الاصرار على هـذا الامر . فانا لا استطيع التنازل عن شبر واحد من ارض السلطنة لان هذه

لارض هي ملك لشعبي لا ملك لي . وقد اهرق هذا الشعب دمه للاستيلاء عليها . فليحتفظ اليهود بملايينهم . ولعلهم يتمكنون من الفوز بفلسطين بدون مقابل ، متى قطعت أوصال السلطنة . امان اقبل طوعاً بان ينتزع منها احد اجزائها فلا .

«انني لااستطيع ان ارضى بتشريحها وهي لا تزال على قيد الحياة».

وتجاه هذا الرفض البات ، لعب هرتزل دوراً لا يبدو انه نظيف كل النظافة . فبالرغم من جواب السلطان السلبي الصريح ظل هرتزل يتظاهر بالامل زاعما انه قد يصل الى اقناع السلطان بمساومات أفضل من الاولى . فان كان مؤمنا بهذا الرأي ، فلا شك انه دال على اكثر من الجهل ، وان كان لا يؤمن به ، ففي ذلك دليل على انه كان مستعداً لسلوك كل ملتو في سبيل السير باهدافه الى امام . ذلك انه بموافقته مع مؤتمر بال (سويسرا) على ان فلسطين هي الحل ، لم يخدع اليهود بصفته زعيما للحركة الصهيونية ، ولم يغرر بهم فحسب ، وانما كانت فكرته تتنافى تنافياً صارخا مع المبادىء التي اسندها الى مشروعه في بدء حملته : الهجرة الكثيفة ، وامتلاك الارض امتلا كا كلياً قبل الهجرة .

وفي مؤتمر بال هذا ، نشط اليهود المقيمون في بلدان لا تفرق بينهم وبين سائر المواطنين ، فابدلوا عبارة «الدولة اليهودية» بعبارة «بلد يحيى فيه اليهود بحماية القوانين العامة» . وذلك حرصا منهم على

اوضاعهم السعيدة في الاوطان المنتمين اليها .

ومن هنا يتضح من جديد وجود تيارين متماكسين في هـــذا المؤتمر . ففي جانب ، نرى اليهود الآمنين المطمئنين في اوربا الغربية والاميركتين حريصين كل الحرص على ان لا يأتي يوم يدعون فيه الى مغادرة بلادهم بحجة قيام دولةلهم وحدهم . اوعلى اقل ماخشيه هؤلاء العقلاء ، ان يصبحوا محطاً للظنون في عيون مواطنيهم فعندمـا تصير اليهودية جنسية بعد ان كانت دينا ، لا بد من اعتبار اليهودي خارج دولته اجنبيا في البلد الذي يعيش فيه .

من هذا العرض الذي سردته عليك ، يتبين لك ان اليهود ارادوا القيام بعمل ما ، ولكنهم في تأرجحهم بين الحلين الازليين ، الاندماج او الانعزال ، كانوا لا يتمخضون الا عن قرارات عرجاء ، وكانوا غالباً ما يضحون بالمنطق على مذبح الاهواء التي تعصف بعامتهم ، ولنعد الى هرتزل . فبينما كان يلوح للخليفة بتعاون اسلامي – يهودي يحقق للمسلمين التفوق على المسيحيين ، كان في الوقت نفسه يحاول اقناع امبراطور المانيا بما لالمانيا من فائدة في ايجاد فلسطين يهودية اذ لابد ان تمهر هذه بطابع من الثقافة الالمانية .

ولم يكتب له التوفيق ، لا مع هذا ولا مع ذاك . فقد حكم على هرتزل بالفشل مع غير اليهود لانه كان داهية دون ان يكون عليما بالنفس البشرية ، كما حكم له بالنجاح مع ابناء دينه لانهم كانوا

مثله من ذوي الرؤى والاحلام .

افيكون فشله المزدوج ، مع عبد الحميد ومع غليوم ، قد ثبط همته ؟ لا أدري ولكن ما ادريه هو ان اعترافه بالفشل كان كافياً للقضاء على سمعته . ولهذا ادار وجهه شطر انكلترا .

وقد جاء هذه المرة في الوقت المناسب ، فعند وصوله الى انكلترا كانت الحكومة البريطانية قد شكلت لجنة لتدرس تحديد الهجرة الى البلاد ، على أثر سيل تدفق عليها من المهاجرين اليهود ، اي ان انكلترا كانت مستعدة للترحيب بكل اقتراح يحول عنها ذلك السيل.

ولكن انكلترا كان يهمها في الوقت نفسه أن لا تغضب السلطان العثماني . وبرهن هرتزل مرة جديدة على انتهازيته ، فاقترح ان تكون الارض المتوخاة جزيرة قبرص او منطقة العريش القائمة بين مصر وفلسطين ولكن وزير المستعمرات جوزيف تشمبرلن رغم عطفه الشديد على اليهود ، رفض الاقتراح المستعجل . وعرض على هرتزل اليوغاندا على اساس انها ارض شاسعة خصبة جديرة ان تؤلف وطناً يهوديا مستقلا .

لقد هش هرتزل للعرض وانشرح له . الا ان الادراك فاته هذه المرة ايضاً . فقد سبق له ان اسكر حماسة جماهيره بالخمرة الفلسطينية ، فلما جاء يبشرهم باليوغاندا ، قام متطرفوهم والمضجون فيهم يرفضون الاصغاء اليه .

وعبثاً حاول اقناعهم بان تلك خطوة فقط ، وبصعوبة كلية امتنع المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠٢ عن رفض الاقتراح البريطـاني رفضاً باتا .

وبفضل هرتزل ومعونة بعض المسيحيين المالية ، كلف المؤتمر لجنة لدرس المشروع . الا ان الموت عاجل هرتزل وهو يائس تعب، فمات المشروع بموته ، اذ ان مؤتمر ١٩٠٥ لفظ قراره برد المشروع دون شرح ولا فذلكة ، وقضى بذلك على عرض لا يخلو من فوائد كثيرة ليهود العالم .

وبرزت من هـــذا المعمعان اقلية يهودية اسمت نفسها منظمة الاراضي لليهود ، وراحت تسعى الى ايجاد ما يمكن أن يكون بلداً حراً خالصاً .

اما الفريق الآخر فتبنى سياسة قيل انها في غاية الحكمة والذكاء تقوم على مشترى الاراضي شيئاً فشيئا ، وفتح المدارس وغير ذلك اي التسرب بالطرق السلمية دون البوح بالاهداف الحقيقية ، وهي اقامة دولة يهودية في فلسطين وطرد العرب منها ..

في هذه اللحظة تماماً جاء من دق الباب . فالتفت مويز الى مصدر الصوت وانتظر بشيء من القلق . ودخلت الخادم تهمس له شيئاً باللغة العبرية . فاعتذر الي وخرج .

دام انتظاري ربع ساعة . وعاد مويز فوجـــدت على وجهه

علامات الانزعاج .

– لقد اطلنا الحديث يا شيخ العـرب . فلنعقل ولنذهب الى النـــوم .

وكان يبدو عليه من الضيق ما دعاني الى الامتثال غير معترض ولا ممانع .. وتناولت من المكتبة اول كتاب وقعت عليه يدي، ولحقت به الى غرفة الضيوف .

– الفطور في الساعة الثامنة يا شيخ العرب . تصبح على خير .

– وانت بخير يا مويز .

بنو اسرائيل سائرون الى الهاوية

●

في اليوم التالي ، كان مويز تقريباً على عادته من طلاقة الوجه بعد الفطور جازفت بسؤاله :

– قل يا مويز ، آمل ان لا يكونوا قد حملوا اليك امس خبراً سيئاً .. وفاة ، او حادث ؟

– الصحيح حادث ولكنه حادث بات كثير الحدوث وآسفاه في فلسطين هذه الايام . ولا ادري اذا كان من حقي ان أبلغك ذلك . ولكن ما دمت تهتم بقضية فلسطين ، وخشية ان تسيء الظن بي كيهودي يجب ان احيطك علمـــاً بما يجري في فلسطين وراء الستار .

ان الهجرة الكثيفة لاشبه ما تكون بعملية تجفيف المستنقعات فكما انك تصادف عند التجفيف بين الامواج المتلاحقة ، انقى المياه واقذرها ، كذلك في أمواج المهاجرين .

وهكذا تجد اليوم في فلسطين حثالة لا يرضاها بين ظهرانيه اي

مجتمع يحترم نفسه . وقد تشكلت بداعي التجاذب كتل وجماعات بينها من اصطلحوا على تسميتهم الارهابيين .

فكيف تسمح الطائفة اليهودية بقيام هذه الطغمة من الاشقياء في صفوفها ؟ هاك ما افسر به ذلك :

طالما كان اليهودي متخوفاً اورعديداً وهولذلك كبيرالاعجاب بكل ما ينضح بالبأس والعنف .

والارهابيون يثيرون حماسة الجماهير ، ولو لم تقرهم من حيث المبدأ على ما يصنعون ، ثم ان الوكالة اليهودية من ناحيتها تقول : ربما احتجنا الى هؤلاء الاشقياء نستخدمهم ضد العرب .. ولم يكن لدينا في الاصل من المنظمات تصف العسكرية الا الهاغانا . وقد انفصلت عنها على مراحل ، وبداعي انشقاقات داخلية ، الارغون زفاي ليؤمي اي المنظمة العسكرية القومية واقول لك بيني وبينك ان هذه التسمية لا تشرف الشعور القومي اليهودي . . ثم منظمة شتيرن ، اي منظمة المحاربين في سبيل حرية اسرائيل .

هاتان المنظمتان لا تضيعان وقتهما سدى في انتظار الفتاوي من أجل الدولة اليهودية ، بل تشتغلان في ابناء الطائفة المفروض فيهم الغنى ، وتقتطع منهم ما يحلو لها من مبالغ .

وقد ظلت الهاغانا وحدها كمنظمة رسمية تقريبا للدفاع الوطني ومن الصعب ان نقدر بالضبط عدد رجالها ، ولكن التخمينات

تتراوح بين الخمسين الف والخمسة وسبعين الفـــا من جنود حسن تدريبهم وتجهيزهم .

أما الارهابيون فيقدرون بما بين الثلاثة والخمسة آلاف. ولكن محبذيهم كثيرون .

يعيش هؤلاء الارهابيون بالتهويل والتهديد . واعرف انهم قادرون على تنفيذ تهويلاتهم وتهديداتهم عندما يجابون الى مطالبهم وامس ، تشرفت باحدى زياراتهم... الى اين ستؤدي بنا هذه الحال؟ كيف ترجو الوكالة اليهودية تأسيس مجتمع على قواعد من الارهاب واعمال الشقاوة ؟ من يستطيع فيما بعد ان يحول بينهم وبين ما الفوه من سلب ونهب وقتل .

ولا أريد أن اضجرك بذكر بقية الاحزاب والمنظمات اليهودية في فلسطين . انها في الحقيقة كبرج بابل فتراهم جميعا يجهدون لتكلم العبرية ، ولكنهم ابعد ما يكونون عن التكلم بلغة واحدة.

والمقول ان لشتيرن جذوراً في اوروبا الوسطي . وعلى كل حال فافرادها من المجرمين العاديين ومن احطهم نوعاً.

ويظن هؤلاء الارهابيون انهم فطنون حاذقون للغـاية وانهم لا يريدون سوءاً بالعرب وان هدفهم هو الانكليز .

ولكن ما عسى ان يحل بفلسطين نفسها وهي علة الخلاف بين العرب واليهود ؟ ان جهوداً كبيرة قد انفقت هنـــا على ايدي

الجمعيات الصهيونية .. ولكن اين سيؤدي بنا ذلك يا شيخ العرب ؟
ان فلسطين محاطة باربعين مليون عربي ومئات الملايين من المسلمين .. فكيف يسع الدولة اليهودية ان تعيش في مثل هذه الظروف والاحوال ؟ اعترف باني لا أفهم .

ومن جهة ثانية ، اترى فلسطين اهلا لان تحل المشكلة اليهودية برمتها ؟ بالتأكيد لا . وكل الناس يجمعون على ذلك ،

ومع هذا ، فهم يريدون انشاء الدولة اليهودية وسط اعداء لا مجال لتنحيتهم ومحوهم ، وهم سيتربصون بها الدوائر ليثأروا منها في اول سانحة .

هذا بصرف النظر عن العواقب الوخيمة التي ستلحق باليهود القاطنين بلدانا بدأوا يتمتعون فيها بالعيش الهادىء الرغيد من جراء قيام الدولة اليهودية كما قلت لك من قبل .

– اسمع يا موييز اذا كان الامر كما تقول ، فكيف يسلم يهود العالم بما يفعله الصهيونيون ؟

– اصبحت الصهيونية يا صاح مسألة عقيدة وتسليم ، فلا مدخل للمنطق عليها . ثم من يستطيع الوقوف في وجه الارهابيين والمجرمين؟ اما الجماهير الجاهلة فمخمورة بسفر يوحنا واساطير الابوكاليس.

ولكن لا تعتقد أن اليهود جميعا قد كمت افواههم . وبينهم عدد غير يسير ، قالوا ويقولون بصوت عال أن بني اسرائيل سائرون

الى كارثـــة .

وأنا ممن يعتقدون ذلك ، وقد تعوزني وآسفاه الشجاعة للجهر بما اعتقد عن طريق القول او الكتابة .. لا انكر .. ولكني ارى كما اراك الآن ، الهوة السحيقة التي يتدهور اليها بنو اسرائيل على جناح السرعة ... فمن لي بمن ينقذهم ؟

طبعا يهوا (الله بالعبرية)

إذا شاء يهوا !.



من منشورات

دار الكشاف
للنشر والطباعة والتوزيع

		قرش لبناني
يوم ميسلون (الطبعة الثانية)	ساطع الحصري	٥٠٠
نخب العدو	سعيد تقي الدين	٤٥٠
تركيا الحديثة	محمد عزت دروزة	٥٠٠
فلسفة التشريع في الاسلام	الدكتور صبحي محمصاني	١٢٠٠
النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية جزآن		
تأليف :	الدكتور صبحي محمصاني	١٨٠٠
عشرة أيام في القاهرة :	عبد الله مشنوق	٥٠
نريد عفاريت :	« «	١٠٠
ملاعق من فضه :	« «	١٠٠

حكيم المعرة

كتاب جديد تحت اسم قديم

(تأليف : الدكتور عمر فروخ)

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

بحث علمي مستفيض عن رهين المحبسين، واستقراء دقيق لكامل ابواب شعره ، أدى بالمؤلف إلى تكوين نظرية جديدة ينفي بها التناقض الذي يتهم به البعض ابا العلاء المعري .

١٣٦ صفحة من الحجم الكبير على ورق صقيل

(فهارس كاملة للاعلام . الثمن : ليرتان لبنانيتان)

مكتب الكشاف للنشر بمصر

٣ شارع فاروق – تلفون ٥٤٩٩٥

المعتمد الاول لتوزيع المطبوعات اللبنانية في مصر

مستعد لتأمين جميع طلبات المكتبات اللبنانية والسورية من وادي النيل

فهرست

انتهى طبع هذا الكتاب على

مَطابِعُ الكشّافْ

في ١٢ تشرين الاول ١٩٤٨

بيروت

تشرين الاول ١٩٤٨



مطبعة الكشاف بيروت